أقواس

تكريم أمل كعدل

في سياق تفعيل المشهد الابداعي على صعيد محافظة عدن وكما وعد من سابق الأخ الأديب الشاعر عبدالله باكدادة مدير عام مكتب الثقافة في عدن بان تواصل حلقات تكريم المبدعين والتي (طالت) كوكبة فنية وموسيقية وغنائية وثقافية شملت (المديرين العامين السابقين لمكتب الثقافة بعدن) محمد الشامي والفقيد احمد سعيد الريدي، وابرز فناني عدن ولحج وابين وهي تمثل لمسة وفاء من قيادة مكتب وزارة الثقافة في جهود وشخص اديبها الشاعر عبدالله باكدادة.

وقد مثلت مهرجانات التكريم السابقة لتلكم القامات الفنية محط تقدير ورعاية ليس فقط قيادة مكتب الثقافة بل (شمل) الفنانة الكبيرة والقديرة (أمل كعدل) حيث كانت صاحبة وفاء فني واخلاقي واجتماعي متميز اذ لم يمكن اي حفل تكريمي يقام في منتدى صهاريج الطويلة الا وكانت متواجدة ليس فقط بشخصها وفنها بل حتى بوجود (اجراز الفل) اللحجية الفواحة وهداياها الشخصية لمكرمي مكتب ثقافة عدن !! داخل منتدى الصهاريج وكم كانت لحظات (فرحها) بقيامها بمثل هذا الواجب الذي عكس (فرحاً طفولياً) في قلب هده الفنانة الكبيرة لكونها تمكنت من تقديم اهل الواجب وازاء قامات (تربت وكبرت على طلعاتهم البهية!!! كما حصل عندما ذكر (ملك الكمان) نديم عوض انه عندما كان يزور والدها الفنان (كعدل) في منزله بالشيخ عثمان كانت الطفلة أمل كعدل تسال والدها (من هذا صاحب العيون الزرق) وكانت تقصد الفنان نديم عوض لانه كان صديق والدها عندما (كانا) يعملان قبل الاستقلال مع بعض..

لهذا فان فنانة اليمن الكبيرة عندما حضرت حفل تكريم الفنان (الكمنجي) نديم عوض انما ارادت ان تؤكد انها (لم تنس) طفولتها ايام مجيء نديم عوض لزيارتهم وهي طفلة بمنزلهم وهي تؤكد بذلك ان من (ينسى) ماضيه لايمكن ان يلمس حاضره !!!

ولهذا لم تنس الفنانة الكبيرة من شكل في حياتها فصولاً من تاريخها سواء بدايته اووسطة اونهايته ودليلها في ذلك انهالم تأت (متفرجة) الى فعاليات تكريم قامات الحياة الفنية ، مثل البعض، إنما جاءت (شريكة) لمعانقة لحظات الفرح كما حصدت بالامس لمسات الرعاية .

وحتى قبيل وفاة الفنان الكبير طه فارع عندما كانت (تجلب) هذا الفنان الكبير وذاك المبدع والصحفي حتى يقفوا وقفات الوفاء والمواساة والابتهال والدعاء .. وقد قامت بعدة زيارات له لايمكن ان تنسى لأنها عكست وفاء هذه الفنانة الكبيرة في وقت الشدائد والازمات واللحظات الصعبة !!

والتي لم تكن تفضل أن تذكر !!

وهذا وذاك (غيض من فيض) .إزاء فنانة كبيرة (مسكونة) بحب الخير للاخرين ولهذا استحقت بكل ثقة وتقدير الآخرين وكان الاديب الشاعر عبدالله باكدادة في مقدمة الحضور لتكريمها ومنها لمسات الحب والوفاء لأنها صاحبة (حضور مميز) في حب ووفاء الآخرين..

عبدالله الضراسي

الجانب الآخر اشخصية أبي نواس

٢-٢

برهان أحمد إبراهيم

هذه الرؤية الانسانية ، بما لها من مرجعية فنية وعلمية ، التي أكسبته حب المجتمع انبعثت - أيضاً- من أمرين تأصلا بقوة في مكنون شخصيته فكانا المحركين الفاعلين في إثراء وتجذير تلك الرؤية وهذان الأمران هما :

طبيعة مسالمة محبة للحياة :

إن طبيعة أبي نواس ، المحبة للحياة دفعت به الى قلب مجتمعه ، فإذا به يرصد إشارات النفس البشرية ، ويحتضنها بتنوع فكرها ومعتقدها واختلاف طباعها وأمزجتها ململماً كل تبايناتها بيسر وبملكة نافذة ناقدة ، ثم ينعشها ويزينها ويبهجها بألوانه النواسية الفريدة فيطلقها خياله الظريف لتنم عن رؤية انسانية تعانق الوجود بما يحويه من نقائض وتنوع حتى كدنا لا نعرف لحظة عاشها دون أن يكون له شركاء فيها :

صفو التعاشر في مجانبة الأذى وعلى اللبيب تخير الجلاس

وهذه الطبيعة إنما جبلت على حب الحياة ، لأنها مسالمة لا تضمر عداء ، ولا تكن أحقاداً ، ولا تتبنى عقلية الصراع ، لذلك فقد نأت به عن الحرب والمواجهة ، فاتحة له مسارب الجمال في الحياة :

جعلنا القوس أيدينا ونبل القوس سوسانا
وقدمنا مكان النب ل والمطرد ريحانا
فعادت حر بنا أنساً وعدنا نحن خلانا
فهذي الحرب لا حرب تغم الناس عدوانا

بل إن هذه الطبيعة الوديعة غالباً ما أفرطت وتجاوزت معنى المسالمة إلى الخضوع والاستسلام بل واستبعاد المقاومة :

هذا زمان القرود فاخضع وكن لهم سامعاً مطيعاً

نزعة التجريب ومتعة الاكتشاف :

حب أبي نواس للحياة ، منحه حصيلة عظيمة من التجارب الحياتية ومن إيمانه بفاعلية التجريب تخلقت لديه أسباب الفن وربما الحكمة أيضاً ولو لم يكن أبو نواس مندمجاً ومنصهراً في الحياة ، عارفاً بأمرها لما إتخذ من التجربة منهجاً للوصول الى حقائق معينة ، لا تحتمل الشك .. فمن التجربة المعاشة تتجلى المعرفة ، وتتحق متعة الاكتشاف :

إني عجبت في الأيام معتبر والدهر يأتي بألوان الاعاجيب
لا تحمدن أمراً حتى تجربه ولا تذمنه من غير تجريب

ولا غرابة إن أكد الشاعر على أهمية التجريب (٠٠٠٠٠٠من غير تجريب) فقد كان واحداً من تلامذة (إبراهيم النظام) أشهر دعاة المذهب الاعتزالي القائل بحرية الإرادة الانسانية ، واختيار الانسان لأفعاله و " بسلطة العقل وقدرته على معرفة الحسن والقبيح ....."(٩).

ودون شك أن إيمان الشاعر بمبدأ التجربة ومتعة الاكتشاف قد ساعده على تكوين رؤيته الانسانية كما أن ذلك المبدأ ، أكد لديه نزعة التجديد ورفض التأطير في نسق معين لذلك نرى أبا نواس ، يدعو الى ضرورة خوض غمار التجربة أياً كان نوعها ودون النظر لاعتبارات أو حقائق مسبقة لم يصل إليها الانسان بذاته ويستشعرها بكيانه:

لا أذود الطير عن شجر قد بلوت اليوم من ثمره

إذا ما كانت حياة أبي نواس ، غارقة في العبث إلاّ أنها حياة قائمة على التجربة المعاشة التي كانت في أغلبها شديدة القسوة عليه غير أن حصيلتها أعطت لرؤيته عمقاً وبعداً :

قد لبست الدهر لبس فتى أخذ الأداب عن غيره

فالتجريب كان جزءاً فاعلاً في طبيعة أبي نواس لذلك اختاره دون وعي منه ، ليكون وسيلته ومنهجه الذي به يصل الى معرفة الحياة لا سيما وأنه هو من أحب الحياة :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

طبيعة التجريب القائمة على قاعدة معايشة الشيء واختباره عبر تفاعل فكري ونفسي وصولاً لمعرفة أثره ، كان لها دورها الحاسم لا في جانب حياة أبي نواس الاجتماعية بل – أيضاً– في جانب الابداع الفني وبخاصة في بناء القصيدة ، وما دعوة أبي نواس الشهيرة الى التحرر من قيد المقدمة الطللية في الشعر العربي ، إلاّ لأنه – ومن طبيعة التجريب– رأى في الوقوف على الديار وإطلالها تقليداً فنياً قديماً فرضته أحوال واقع قديم زمناً وبعيد مكاناً وبالتالي فهو لا يمت بأية صلة لطبعه الحضري ولبيئته بغداد الوارفة الظلال الرافلة بأشكال وألوان من دعة الحياة ورغدها وسعة العيش ونعيمه ولين الطبع ورقته :

أحسن من وصف دارس الدمن ومن حمام يبكي على فنن
ومن ديار عفت معالمها ريحانة ركبت على أذن
في روضة بالنبات يانعة قد حفها كل نير حسن

إذاً كان أبو نواس صادقاً ومحقاً " في الدعوة الى تصوير الشاعر لما يرى على حسب ما يشعر به لا على حسب ما سمع عنه " (١٠)

لذا، لم يتقمص – النواسي– دور الآخر (أي الشاعر الجاهلي) بل كان وليد طبعه ، وابن بيئته وأثراً صادقاً لتجربة حياتية عاشها جاعلاً من الشعر وسيلة للتعبير عن تجارب شعورية ، ولذلك ، لم يقبل قهر تلك التجربة بتأطيرها في قالب فني غريب عن تكوينه الفكري والنفسي لا يستلهم جماليات العصر ولا تستجيب له ذائقة المجتمع :

عج للوقوف على راح وريحان فما الوقوف على الاطلال من شأني
تعيبني الذنوب وأي حر من الفتيان ليس له ذنوب

أبو نواس لا يأمر ولا يؤطر ولا ينظر لأنه في الاصل فنان آمن بأهمية التجربة وبدفع استحقاقاتها مهما كان الثمن وهنا أثمرت لنا تجربته فناً رائعاً لا يختلف عليه اثنان :

منهجه التجريبي أوصله الى نتائج مؤلفة حطمت آماله فأراد كشف عيوب مجتمعه وما يفتقده من معان إنسانيته رغم ما يدعيه من تحضر ولأنه أبو نواس المسالم صاحب الروح الظريفة لم يجد غير السخرية سبيلاً لعرض تجربته الحياتية وتعرية مجتمعه وبيان قبحه :

الحمد لله ألم ينهني تجربة الناس عن الناس
فأمنع النفس هواها فقد أذلني للناس إفلاسي
سكت للدهر وأحداثه حتى خرا الدهر على رأسي

وكثيراً ما تبرم أبو نواس من عصره وتعجب من أمره وكيف أنه عصر بليد فقد قدرة التقويم وبالتالي لم يكن عادلاً في اعطاء كل ذي حق حقه :

ذهب الناس فاستقلوا وصرنا خلفاً في أراذل النسناس
كلما جئت أبتغي النيل منهم بدروني قبل السؤال بيأس

فأبو نواس ، بطبعه الظريف ، وبأصالته الفنية ، جعل من تجربته المريرة المؤلمة مع مجتمعه ، مادة للتندر والسخرية ، وكأنه حكيم يقدم لنا المأساة بقالب كوميدي .. إنها حقاً لكوميديا سوداء ، أكثر قدرة على تجسيد الحقائق المؤلمة :

أريد قطعة قرطاس فتعجزني وجل صحبي أصحاب القراطيس
لحاهم الله من ود ومعرفة إن المياسير منهم كالمفاليس

إن ذلك النقد وبما يتصف به من دعابة نواسية ، لما كان له أن يكون دون جنون التجريب لدى الشاعر ضمن التجريب ومتعة الاكتشاف تكونت رؤيته تجاه عالمه .

أبو نواس ، وإن كان خسر قيمته الاجتماعية (وفق رؤية معاصريه نقاداً وسلطة) إلاّ أنه – وهذا الأهم– نال قيمة فنية بفعل كيانه المتميز واستطاع تأكيد ذاته رغم حملة التشهير ، وإن كان قد جسد عصره أصدق تجسيد فإنه – أيضاً– أدان عصره وغالباً ما كشف عيوب النخبة الحاكمة لذا كانت السلطة تخشى لسانه :

ألا قل لأمين الله وابن القادة الساسه
إذا ما ناكث سر ك أن تفقده رأسه
فلا تقتله بالسيف وزوجه بعباسه

تناول ابو نواس سياسة العباسيين بالنقد الساخر من خلال تعريضه بسياسات ولاتهم الظالمة وما تعانيه عامة الناس كقوله في والي مصر (الخصيب):

خبز الخصيب معلق بالكوكب يحمى بكل مثقف ومشطب
جعل الطعام على السغاب محرماً قوتاً ، وحلله لمن لم يسغب

وبعين الفاحص ، أدرك أبو نواس بدء تغلغل الوهن في الدولة العباسية وإرهاصات سقطوها مع ظهور صراع الاجنحة في البيت العباسي هذا الصراع الوراثي بين (الأمين) و (المأمون) كان علامة دالة على بدء نهاية الخلافة فقدم ابو نواس رؤيته القائمة على تحليل موضوعي يستند الى معطيات الواقع السياسي العباسي لكنه تحليل نواسيّ ظريف يحمل السخرية اللاذعة والروح العبثية:

هانهنا جهرة ودعني من احاديث كنزافة
ضاع بل ذل الذي عنـ ـف فيها يا ذافافه
مثلما ذلت وضاعت بعد هارون الخلافة

والخلاصة أن أبا نواس تركيب إبداعي فريد فالفن كان قدره شعراً وحياة كما أنه لم ينعزل عن حياة مجتمعه ، بل مثل عصره أصدق تمثيل مجسداً نقائض ومزايا ذلك العصر فكان الشاعر العابث والشاعر الموسوعي والشاعر الصادق الذي أطلق الثورة الاولى في الشعر العربي ..

الهوامش :

ولد سنة ١٣٦هـ وقيل ١٤٠هـ وتوفي سنة ١٩٥هـ وقيل ١٩٦هـ وقيل ١٩٧هـ.

١– ديوان أبي نواس : دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٢م تحقيق وضبط وشرح : أحمد عبدالمجيد الغزالي.
٢– عبدالله بن المعتز : طبقات الشعراء ط ٤ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١م تحقيق عبدالستار خراج ، ص ١٩٥.
٣– محمد رضوان الداية : تاريخ النقد الادبي في الاندلس ، دار الانوار – بيروت – ١٩٨٦م، ص ٢٦٠.
٤– عبدالله بن المعتز : طبقات الشعراء ، ص ٢٠٢.
٥– المصدر نفسه : ص ١٩٤.
٦– المصدر نفسه : ص ٢٠١.
٧– المصدر نفسه : ص ١٩٤.
٨– المصدر نفسه : ص ٢٠٢.
٩– أحمد أمين : فجر الاسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٦م ص ٤٧١.
١٠– د. محمد غنيمي هلال : النقد الادبي الحديث ، دار العودة بيروت ١٩٨٢م ص ٥٧.

شخصية حيرت التاريخ

(نيرون)

إعداد / ميسون عدنان الصادق

– ولد (لوسيوس) نيرون (٣٧م) في (أنتيوم) ومعنى اسمه (القوي الشجاع) تعلم اليونانية والأدب والفلسفة على يد الفيلسوف (سنيكا) الذي حاول أن يغرس فيه حب التواضع ودماثة الخلق والبساطة والصبر على الشدائد.

– كان نيرون منذ طفولته في روما طالباً مجداً كما كان في وسعه أن يكتب شعراً لا بأس به وأن يخطب في مجلس الشيوخ في عام ٥٤ مات أبوه الامبراطور (كلوديوس) وأوصلته أمه (أجربينا) إلى العرش وكان في السابعة من عمره بعد أن ضمن له القائد العسكري (بوروس) تأييد الجيش الروماني بكامل قواته ويعتقد كثير من المؤرخين أن (أجربينا) دست السم للامبراطور(كلوديوس) وقتلته حتى يصبح ابنها (نيرون) امبراطوراً .

– عاشت الامبراطورية الرومانية خمس سنوات في بداية عمر نيرون في رخاء وكان في ذلك الوقت لا يخالف مجلس الشيوخ كما أنه ألغى الضرائب على المواطنين وكان يعتمد على أمه في كثير من أمور الحكم .

– يذكر لنا التاريخ أن (نيرون) أصيب بالجنون وضاق ذرعاً بتدخل (أجربينا) في كل شؤون الامبراطورية فأوعز لجنوده بقتلها ثم تخلص أيضاً من زوجته (أوكتافيا) وبعدها زوجته الثانية (لوبيا) وكذلك كثير من الارستقراطيين والأثرياء وكل أساتذته حتى أصبح ديكتاتوراً لا ينازعه أحد على السلطة المطلقة.

– في عام ٦٤ قام بحرق مدينة روما – وظلت مشتعلة تسعة أيام – ويقال أنه كان يقف يغني ويقهقه سعيداً بما فعل حتى يبني روما من جديد كما تصورها في أحلامه.

– وفي عام ٦٨ اعتبره مجلس الشيوخ خائناً فأصدر عليه الحكم بالاعدام فهرب من روما وانتحر بسيف صغير وهكذا انتهت حياة أحد طغاة التاريخ وكان ذلك في عام ٦٨م.

المرأة في رواية دملان

د. معن عبدالباري قاسم

استحوذت قضية المرأة والجنس في نص الرواية الحيز الأكبر حتى ليخال للقارئ بأنها رواية جنسية مكسوة بالهم السياسي والاجتماعي اولعكس صحيح ايضاً – وهذه سنة طبيعية شائعة في الحياة يتمثلها لنا النشاط المعرفي الإنساني في مختلف صنوفه الإبداعية (أدب، فنون .. الخ) فكتابات مشاهير الأدب العالمي الروائي (ليرمنتوف ، ديستوفسكي ، بونين، بلزاك، نيكوس كونستزاكي، البرتو مورافيا، هنري ميلر، جبرائيل غارسيا ماركيز... الخ) حظيت بقدر كبير من تلك الرابطة الثنائية بين الجنس والسياسة، وان كانت الحرية التعبيرية والوضعية للحياة الجنسية الى حد الاباحية في بعض تلك الاعمال الادبية الاوربية.

وعند مشاهير الادب الروائي العربي نجد الكثير من التناول والاهتمام بقضايا المرأة والجنس والسياسة في اعمالهم (نجيب محفوظ، حنا مينا، الطيب صالح، غالب هلسا .. الخ.(

في الأداب الروائي اليمني– رغم ضآلة حجمه وتواضعه الجم كمنعكس ، منطقي وطبيعي لانغلاق وتدني مستوى النمو الاقتصادي– الاجتماعي والثقافي – الروحي والسياسي الا اننا نتذكران هناك اسهامات مبدعة ظهرت مع السنوات الاولى لمراحل الانعتاق والتحرر والانطلاق للانسان اليمني في ستينيات القرن الماضي والتي مثلت فيها اعمال الاديب محمد احمد عبدالولي الارهاصات الاولى ومازالت حتى اليوم من وجهة نظري– بلا منافس في مستوى الاداء كماً ونوعاً. (مقارنة بمسيرة حياته الزمنية والابداعية الادبية .. ناهيك عن ظروف البيئة المحيطة آنذاك).

لكنني هنا لست في هذه المقدمة لاستعراض المراجعة النقدية الادبية للرواية اليمنية وانما وجدتها مدخلاً للمقارنة التاريخية مع ما اود ان اتناوله بقدر من الايجاز كقراءة سيكولوجية لنص الرواية (دملان) الابداعية المتميزة للبرفسور الجامعي المهندس والاديب الفرنسي الجنسية اليمني– العدني المولد والمنشأ الدكتور حبيب عبدالرب سروري.

عقدة أوديب

في قراءة مسحية للرواية نجد المؤلف كجزء من اسلوب السيرة الذاتية يشدنا بعرضه لتجربته الشخصية المبكرة مع المرأة والتي تلعب فيها الام منذ البداية وحتى النهاية ضابط الايقاع وفقاً للتحليل النفسي في فهم ديناميكية السلوك الشعوري منه او اللاشعوري (الظاهر منه أو الخفي) في العلاقة مع المرأة والجنس منذ الطفولة وحتى الرشد.

فمن مطلع الرواية (ص–٨) يأتي تساؤله : " (اليست هي) – يقصد أمه– سبباً في ذلك الى حد ما ؟ الم تقف حجرة عثرة امام اول عشق دق بابي؟ المفارقة التي تزعجني قليلاً هي انها هي التي قررت ان اسمي : (وجدان) في حين كان والدي يريد اسمي : محمود لعلها ارادت فقط ان يكون اسمي وجدان ، على نفس ايقاع ابي قحطان،،"

ومن (ص– ٦١) نجده يجتر من شريط العمر و(بأكثر وضوحاً وتحديداً لمواقفه من الام : " تجاوزت العشرين من العمر ولم اسمع فيه صوتاً انثوياً يناجيني لم يعرف مسمعي غير صوت أمي التي صارت تراقب حركاتي وسكناتي اكثر من قبل ، تلاحقني بنظرها خوفاً من شيء اجهله".

وحتى الصفحات ماقبل الاخيرة للرواية (من ٣٩٩–٤٠٠) يعزز المؤلف التفسير ، الفرويدي . حينما ينحسر منحى العقدة النفسية الاوديبية لتقادم السن وتغير الموقف السلوكي إلا ان روح السيطرة الأمومية تظل باقية وان خفتت ردة الفعل تجاهها – نظير التعويضية التي حققها في مسيرة حياته.

–إن ذلك التساؤل الذي جاء في مطلع الرواية وما بعدها من تناولات مشار اليها واحدة من اهم محاور الاهتمام في المنطلقات النظرية والتطبيقية لمدرسة التحليل النفسي الفرويدية والتي عرفت بعقدة اوديب ، واستميح القراء عذراً هنا للإشارة الملخصة والتعريفية بهذا المصطلح الشائع في حقول العلوم السلوكية (لعلم النفس والطب النفسي).

كما وردت في قاموس علم النفس والتحليل النفسي للدكتور فرج عبدالقادر وزملائه بان : عقدة اوديب (Oedibus Comblex) : هي جملة الرغبات الليبيدية والعدوانية التي يشعر بها الطفل تجاه والديه ويبلغ ذروته في الحقبة بين ثلاث وخمس سنوات، فمنذ ان يرفع الستار عن الوليد لتتفاضل (الأنا) عن (الهو) وفصول المسرحية مستمرة انتقالاً من المرحلة الفمية الى الشرجية ليبلغ الموقف ذروته في مركب اوديب في المرحلة القضيبية حيث قمة الصراع كنتائج لذلك الموقف الذي يمر به الطفل والذي نتج بالضرورة لطول اعتماده في طفولته على والديه لذا فهو يتميز بثنائية الوجدان Ambivalence نحو الوالد من نفس الجنس وعلاقة الحب الشبقي الحنون معاً بالوالد من الجنس الاخر ذلك التعلق الذي تناوله الكبت Rebression بسبب الصراع الناشئ من اصطدام هذا لتعلق بمشاعر الحب والكراهية والخوف الذي يشعر بها الطفل تجاه الوالد من نفس الجنس وهو ما اسماه فرويد بـ (عقدة اوديب الايجابية) ولقد اطلق عليه هذا الاسم لان مضمونه الجوهري موجود في تلك الاسطورة اليونانية التي حفظها سوفوكليس من الاندثار في تراجيديته الموسومة (اوديب ملكاً) وفيها يقتل اوديب اباه (لايوس) ملك طيبة ويتزوج من امه (جيوكستا) ويتبوأ عرش طيبة (دون ان يعلم حقيقة مافعل) وهنا تجدر الاشارة الى مايذكره فرويد عن ذلك التحريف في الصياغة الشعورية للأسطورة ونعني به جهل اوديب بفعلته والذي لم يكن غير تصوير مشروع لحالة اللاشعور التي تنتهي اليها هذه الخبرة المأساوية لدى الطفل .

وعقدة اوديب – بهذا المعنى – تعد مصدراً من اهم مصادر الاحساس بالذنب الذي يلف المرضى النفسيين في غالب احوالهم بقدر ما هو المصدر الاساسي للاخلاق ، ومن المعروف انه تحت تاثير عقدة اوديب والموقف الاوديبي بعامة وفي علاقة وثيقة به ينشأ الخوف من الخصاء (انظر عقدة الخصاء أدناه).

ولقد تحدث فرويد ايضاً عن عقدة اوديب السالبة عندما يحل التعلق العشقي محل تلك المشاعر العدوانية التي يستشعرها الطفل تجاه والده من نفس الجنس ، وان دلته الخبرة التحليلية النفسية كما يقرر بنفسة في كتابه (الانا والهو) (١٩٢٣)، على ان هذين الشكلين ليسا اكثر اشكال العقدة شيوعاً وانما يمثلان تبسيطاً كافياً فحسب من اجل الاغراض العلمية ، اذ ان الدراسة المتعمقة تكشف عادة عن عقدة اوديب الكاملة (Comblete Oedibus Comblex) والتي تتبدى في وجهين سالب وموجب وترجع الى الثنائية الجنسية (Bisexuality) الموجودة اصلاً لدى الاطفال (ولدى الانسان عامة) ومن هنا يمكن القول بأن الصبي لايتخذ اتجاهاً ثنائياً نحو ابية وعلاقة ذات طابع وجداني تجاه أمه وانما يسلك في الآن نفسه سلوك فتاة مبدياً اتجاهاً انثوياً ودوداً ناحية ادبية الغيرة والعداء ناحية أمه ويرى فرويد انه من الافضل بوجه عام ان نفترض وجود عقدة اوديب الكاملة لدى الفرد وبخاصة لدى العصابيين.

عقدة الخصاء Castration Comblex

تحت تأثير الموقف الاوديبي وفي علاقة وثيقة به ينشأ الخوف من الخصاء ، ذلك الخوف اللاشعوري من فقدان عضو التناسل عقاباً على ما يستشعر به الطفل الذكر من دوافع ليبيدية تجاه موضوع محرم ، وتحت تأثير مركب الخصاء وحصر الخصاء Castation Anxiety يعاني الطفل اقسى صدمة في حياته الباكرة وبخاصة عبر تهديدات الأم التي تحاول ان تمنعه بطرق شتى من العبث بعضوه التناسلي وقد تعلن الأم انها ستكمل تنفيذ تهديدها للأب، الا ان هذه التهديدات – كما يرى فرويد– لاتؤتي ثمارها الا اذا تحقق شرط اخر قبلها او بعدها نتيجة رؤية الطفل للأعضاء التناسلية الانثوية او اختلاسه النظر اليها مما يدرك معه نقصان ذلك الجزء القيم لديه فيصدق التهديدات التي سمعها ويقع تحت تاثير مركب الخصاء الامر الذي يؤدي في النهاية لا ستدماجة للتحريم الذي يقع على المحارم من خلال توحده بالاب ومن ثم يتجه الى حل الصراع الاوديبي.

ولاشك ان اثار مركب الخصاء (والذي انبعث من تهديدات واقعية في علاقتها بالمتخيل) لاتحصى فقد تؤثر في علاقة الصبي بوالديه ومن ثم بالرجال والنساء بعامة أذتتعرض الخبرة بكلها لكبت Re-bression قوي يظل على أهبة الاستعداد لتعطيل النمو اللاحق للأنا بعد البلوغ.

●● مدرسة التحليل النفسي تهتم كثيراً بدراسة مراحل الطفولة وتعتبر ان حدوث العديد من الاضطرابات السلوكية في الشخصية لاحقاً ما هي الا شكل تعبيري من اشكال المعاناة النفسية في مرحلة الطفولة (كسوة المعالمة الجسدية ، النفسية ، الجنسية او الاهمال).

وفي هذه المرحلة تكون آلام صاحبة السيطرة ، السيادة الاقوى في المجتمعات المدنية ، وبعض التجمعات السكانية او بعض انماط الاسرة ذات النمطية الأمومية.

ان هذا التفسير الديناميكي لسير السلوك من وجهة النظر الفرويدية– كواحدة من اشهر مدارس العلوم السلوكية لدراسة الشخصية – تساعدنا كثيراً على فهم التصرفات السلوكية لبطل الرواية التي ربما – من وجهة نظري لعبت سعة ثقافية واهتمامات المؤلف بالعلوم الإنسانية ومنها المدرسة الفرويدية– الذائعة الصيت في فرنسا – لانها تلقي بظلالها على منهجية العرض السلوكي لشخوص الرواية.

تناولي هنا من منطلق التحليل النفسي لايعني تمسكي المنهجي بها وانما جزء من القراءة الشائعة للنص الادبي من منطلق تلك المنهجية رغم ان هناك مدرسة اخرى في علم النفس وهي المدرسة السلوكية (اتحمس لها كثيراً).

١– تعتبر الان من اكبر مدارس علم النفس نفوذاً وشيوعاً – تقدم تفسيراتها للسلوك الانساني من منطلقات فيزيولوجية باعتباره استجابة تعلم للمثيرات البيئية – يديرها الدماغ البشري– وقد كان كلاسيكيو هذه المدرسة (العالم الروسي ايفان بافلوف والامريكي جون واطسن) المكتشفون الاوائل لمفهوم التعلم.

وطوره لاحقاً اتباع هذه المدرسة (ثوارنديك، سكنر، ايزنك ، ولبى) وقارنوه بالعديد من المظاهر السلوكية السوية منها والمضطربة بمختلف انواعها عن الانسان واكدو بان الاضطراب السلوك سواء كان (معرفي، انفعالي او ادائي– حركي) فأن مرجعه الى خبرات تعلم مكتسبة بشكل خاطئ من البيئة المحيطة وبشكل مستمر منذ الطفولة وحتى مراحل متقدمة من العمر.

وهذا يعني فيما يعنيه من مقاربة قراءتنا السيكولوجية للنص الادبي ان مظاهر الخوف من الجنس الآخر هي حساسية انفعالية وردود فعل وهي مسلكيات مكتسبة (متلعم – شرطاً ، ادائياً، معرفياً) من البيئة وذلك حيثما يكون للأم، الاب (الاسرة) هم الصف والمدرسة والمنهج الاول والاشد تاثيراً في البيئة .. مقابل محدودية وفقر المصادر والمثيرات التعليمية الذكية والمحفزة في الواقع المعاش.

٢– وعليه فيمكن القول ان مدرسة التحليل النفسي تفسر السلوك بتحيز وفقاً للمعتقد الوراثي – الطبي وتصبغة بمصطلحات من الاسطورة الاغريقية القديمة– وهو ما يؤكد سعة الاطلاع في التاريخ والادب والانتربولوجيا والعلوم لرواد مدرسة التحليل النفسي من جانب ومن جانب اخر تعبر عن اللبس المنطقي لتطور العلم مطلع القرن العشرين ومحاولة وان بلباقة التحول من الميتافيزيقيا الى المادية – الموضوعية في البحث العلمي والتي تميزت بها بوضوح اكثر المدرسة السلوكية . وانني لارى انطلاقاً من الاسس النظرية لكلتى المدرستين انهما مرجعية متعددة بتفسيرات متكاملة المنهجية للسلوك الانساني .

العشق (التعلق الوجداني)

يدرك القارئ مدى حساسية ، رهافة، وجدانية، وعاطفية شخصية المؤلف التي تمثلها ليس ابطال الرواية فحسب (من منظور وصفهم الشخصي ولكن حتى من طبيعة تفاعلهم مع عنصر الزمان والمكان في حنين واضح ومكثف ، ربما هو – من وجهة نظري – احد الاسباب الانفعالية المفرطة المؤثرة في توجهات المولف بنظرته السوداوية عن حياة شعب وارض دملان .

(وهو وثيق الصلة في تفسير العديد من وجهات النظر لاحقاً لما طرحناه في معاناته للعقدة الاوديبية).

على انني هنا ساحاول وايضاً بقدر من الايجاز – لتجنيب القارئ الضيق من الاطالة في السرد والتفصيل – العبور على أهم المحطات التي استوقفني بلفت النظر اقصد من ربطها بقضايا العشق والتعلق الوجداني – (وهو التعبير الادق والمفضل من وجهة نظري عنه لمفهوم الحب – الاكثر عمومية وغموضاً من حيث المعنى سواء التشريحي ، الوظائفي البيولوجي وحتى الاجتماعي والديني.

أ– عشق المراهقة :

في الفصل الخامس من الجزء الاول (شارع دغبوس) (ص ٦١–١١٩) يروى لنا حبيب سروري البداية لقصة عشقه المراهق مع سوسن وصدمته ، نكبة تعلقة الوجداني الاول، تلك الصدمة ، الشرخ في حياته العاطفية – كانت وفي عملية لا وعيه خافية لتراكم خبراته الوجدانية، العاطفية المخفقة لاحقاً حيث كانت أمه هي الصاعقة والزلزال المدمر لارهاصه العاطفي ، المراهق.

لقد وفق حبيب كثيراً في سرد وتصوير تلك التجربة (لعقدة اوديب) وبشكل جذاب وبسيط يمنحها استحقاق الاصالة الابداعية التصويرية للخبرات الحياتية الواقعية والمتكررة حتى اليوم.

ب– عشق الشباب:

في الجزء الثاني من الرواية (سانت مالو) تقدم لنا الرواية نماذج العشق والتعلق الوجداني لمرحلة الشباب وتحديداً عند جيل من الشباب الذي حظي بفرصة الدراسة خارج الوطن وفي الاصقاع الاوربية.

وجاء هذا الجزء من الرواية بوصف شيق لمذكرات يومية لشاب يمني منحته الاقدار فرصة الدراسة في اوروبا ولقد كان دقيقاً في تركيزه على الحيثيات العاطفية للواقع اليومي لبطل الرواية وتلهفه– من شدة الحرمان – للبحث عن شريك من الجنس الآخر.

كان الكثير من سرد تلك الوقائع– لطيفاً ، مضحكاً – يعكس بساطة حرمان ، سذاجة ، رقة ووداعة ، انفعالية وحماقة الشاب اليمني خارج المدارات الجغرافية لموطنه واهله.

فمن قبلة راس السنة، والحب او العشق عن بعد (والتي جاءت في الفصول من ١– ٥) وحتى المحاولات والتجارب الفاشلة لنشاطات الطالب اللاصفية في الحياة العاطفية والتي قدمها في اربع تجارب مضحكة تعكس شدة الصراع بين تعقيد التفكير ومرارة نمطية الحياة الشرقية وبساطة الحياة والفتها ، ابداعها وتنوعها واختلافها في الحياة الغربية من حيث موقفها من المرأة.

والاكثر من ذلك من وجهة النظر السلوكية انه في ذلك الاستعراض للمحاولات الاربع (ص ١٧٦–١٧٨) انما يقدم عرضاً لخبرات ومهارات تعلم سلوكية في اقامة علاقة مع الجنس الاخر (وان كانت خبرات فاشلة) ووفقاً للمسار النمائي للشخصية (وهو فيما يتطابق مع درجة تقدمه في سنوات الدراسة ونضج الشخصية ايضاً لبطل الرواية) نجده يعبر عن شكل النضج والرقي للتعلق الوجداني حد الهوس بزميلة دراسته ايزابيل (من خلال استخدام الية التسامي – sublima-tion) وقدم مقاربة جميلة لتأثير – محاكاة – البيئة الثقافية الفرنسية المتحررة والثورية في طبيعتها على روح شخصية البطل التي كانت هي الاخرى ذات جهوزية ، استعداد من بيئتها المحلية آنذاك في عدن.

لعل اكثر ما اثار حنيني الشخصي لقراءة الفصل الثامن ذكريات العلاقة لزملاء الدراسة التي كانت عبارة عن وعاء عبر حضاري – ثقافي ، اثني، قاري لمختلف الاجناس الاديان والعادات واعتقد ان حبيب كان مبدعاً في استذكار شخصية وسلوك ذلك الشاب الافريقي — نموذج القارة السمراء في واقعة درة ميزان التي اعتقد انها تخلق حالة تداعي ذكريات مماثلة لطيفة مع العديد ممن درسوا في الخارج وحيثما كان لهم زملاء من القارة السمراء.

العلاقات الجنسية

الرواية بطبيعتها ذكورية– منطقياً بحسب مؤلفها– الا ان حروف ، كلمات ، عبارات جمل ، صور الحياة الجنسية فيها لاتنبض بالخشونة، العدوانية، الاندفاعية، التقليدية ، وهذا مؤشر ذو اهمية كبيرة في فهم طبيعة شخصية المؤلف التي ربما يكون للمؤثرات البيولوجية (الوراثية والفسيولوجية منها مجتمعة) دور اكبر في تحديد تلك الصفات عنها من التنشئة الاجتماعية.

ويعزز رأينا ذلك – على بعض الوقائع الدالة تحديداً منذ عشقه المراهق مع سوسن ومدخله الادبي المهذب في العلاقة معها مروراً بايزابيل ... الخ، وبالمقارنة مع غرائزية واندفاعية زميله جعفر الدملاني.

ويقدم لنا حبيب في رواته صوراً عديدة لمختلف صنوف المطارحات الجنسية والتي جاءت في اطار عرض سريع لسبع نماذج عن حالات الاتصال الجنسي السريع والتي لم تسمح لتأسيس واستقرار علاقة انسانية – نموذجية – مسكون بها بطل الرواية (كحالة دفاع نفسي تسمى المثالية – Idealization) (ص٢١٩–٢٢٩